

التواصل وما بعد الحداثة "تيك توك" .. ليبدأ العرض

Communication and postmodernism "Tik tok .. and the show begins"

أ.د. طامر أنوال

جامعة وهران 1 أحمد بن بلة / الجزائر (tameurenouel@hotmail.com)

تاريخ الاستلام : 2020/02/02 ؛ تاريخ القبول : 2020/10/30 ؛ تاريخ النشر : 2020 / 11 / 20

Abstract

المخلص

The tic tok is the phenomenon of the season with excellence, reaching imaginary download proportions .. exceeding 46 million at the start of the first season of 2018, and more than a billion videos recorded on the same day, and exceeding the usage rates of Facebook, Instagram and Whatsapp. to lead the Electronic Media List without being challenged. It is also a marketing space for the image, for the image of the self, for sharing with others, for simulation and goes beyond the domain of "the unknown" "to the" identifier ". In a few seconds , the ordinary moment is transformed into an aesthetic artistic shot that captures time and seduces it.

It seems that the application is for all ages, nationalities and regions .. and does not set limits or conditions of use, which explains its popularity, simplicity and convenience. Does Tic Toc contribute to the construction of a digital identity? Does it demolish and build values or an aesthetic vision?

How can one perform a spectacle of oneself in search of an interaction with the other and through the other?

key words: Postmodernism ; decentralizing communication ; demolition ; openness ; introversion ; marginalization ; intertextuality ; screen ; digital identity ; presentation

يعد التيك توك ظاهرة الموسم بامتياز، من خلال تحقيق نسب خيالية من التحميل تجاوزت 46 مليون في بداية موسم السداسي الاول لسنة 2018، وأكثر من مليار فيديو تسجل مشاهدته في نفس اليوم، كما أنه تجاوز نسب استعمال الفايسبوك ،الانستغرام والواتساب.. ليتموقع بجدارة على رأس قائمة وسائل التواصل الالكترونية دون منازع. ليس التيك توك فضاء فقط للتسلية والتنفيس والتعبير الكوميدي والموسيقي.. من خلال ما يمنحه التطبيق من استعمالات وتسهيلات.. بل هو أيضا مساحة تسويق للصورة، لصورة الذات ،لمشاركتها مع الآخر، للمحاكاة والخروج من حيز "النكرة" الى "المعرف" .. في ثواني تتحول اللحظة العادية الى لقطة فنية جمالية تأسر الزمن وتفتنه. يبدو أن التطبيق مس جميع الاعمار والجنسيات والجغرافيات.. ولم يضع حدودا أو شروطا للاستعمال مما يفسر شعبيته وسهله ولوجه.. فهل يساهم التيك توك في بناء هوية رقمية؟ هل للتيك توك معاول هدم وبناء لقيم ما؟ أو رؤية جمالية ؟ كيف يمكن أن يتحقق العرض العام للذات بحثا عن تفاعلها مع الآخر ومن خلال الآخر..؟

الكلمات المفتاحية: ما بعد الحداثة، التواصل، اللا مركز، الهدم، الانفتاح، الانطواء، الهامش، التناص، الشاشة، الهوية الرقمية، العرض

1.مقدمة:

التواصل و الحداثة / ما بعد الحداثة

ان التفاعل الحالي مع التغيرات المتسارعة في تكنولوجيا الاعلام والاتصالات TIC = ومع ما يحدث من ثورات في المفاهيم والتصورات ، عصر العولمة وهيمنة النموذج المؤثر والمفروض ، يسايره على مستوى المجتمعات المستهلكة (مثل مجتمعاتنا) اعادة النظر في الكثير من القيم التقليدية والتعبيرات الاجتماعية..تنتج على أكثر من صعيد ردة فعل المطحون والمقهور سياسيا واجتماعيا للبحث عن التموّج.

حور الانترنت بعمق جملة من النماذج الاقتصادية والتاريخية من وسائل الميديا ، ومن ثم تغيرت ملامح علاقتنا بعالم الاعلام في سياق تداعيات العولمة.

نحن مرغمون ان نكون بالداخل ، ولا خيار لنا إلا ان نكون بالداخل،..ونساير ما يفرغ فوق رؤوسنا ..لا أحد بإمكانه ان يتحكم أو يحد من فيض هذا التدفق .

في زمن اتساع الهوة بين الفكر والواقع ، بين النخبة والسلطة ، بين عالم الامية والعوز وبين عوالم المثل ..و الطروحات مافوق واقعي، نجد أنفسنا بين حدي التناقض : بين ضرورة انتاج المعلومة واستغلالها في خدمة التنمية والتطور وبين المتخوفين من ما يسمونه بالغزو الثقافي وتغييب للهوية والانتماء..وللخروج من هذه الخانة الضيقة التي تشبه طرح أسبقية الدجاجة أو البيضة نطرح سؤال من نوع آخر:

اين التموّج ؟ تاريخيا واستراتيجيا ؟ ما قبل الحداثة ، مع الحداثة ، ما بعد الحداثة..أم على هامش الحداثة؟

ان اقوى مفهوم في الحداثة هو مفهوم " القطيعة الابستمولوجية " الذي انتعش على يد "باشلار" الراض لفكرة استمرارية القديم المؤسس للجدید والحاضر في بنيته..واعتبر ان العلم لا ينمو إلا عبر القطيعة والانفصال عن الجهاز المعرفي القديم (الوقيدي، 1984، ص 156) .

مع الفكر العربي ، يستحيل الحديث عن هذه القطيعة ، بل ..كيف للفكر العربي أن يعاند التغيير ، مخالفاً بذلك أبسط قواعد الطبيعة ، إذ أن كل ما ينبض بالحياة معرض بفعل مرور الزمن للتبدل . (نادر ، 2008 ، ص 22)" ياريت لو بيدنا المكوث في درج من الادراج، نحن حتى الخيار لا نملكه، بل حتى قبائل الامازون الاكثر عزلة جغرافيا وثقافيا مهددون في هويتهم بعد كل هذه العقود من التخفي والتوقع.. فقد صلتهم معاول الهدم لتجار الخشب وصيادي التماسيح والمتاجرين والمرترقة وغزة الصورة على يد السينيمائيين والأفلام الوثائقية.

كيف لنا ان نخفي رؤوسنا في الرمال ونحن على بعد مسافة ساعة طيران من أوروبا ؟ يدرك الكائن الذكي العقلاني انه يعايش دينامية كيانية ، تسعى لبلوغ مرتبة المواطنة الكونية..وهذه الرتبة تتحى لان تمحو الفروقات والهويات المحلية مما يحول المسعى الى مسار يتلبسه الغموض والتبعثر لدى المتلقي المستهلك العربي او متلقي من العالم الثالث ككل..لان المشكلة "هي في عمق التشويه الذي يصيب الوعي التاريخي من قصة قلب الامور وجعل مركز الثقل في الوجود التاريخي عائدا للماضي بدلا من عودته للحاضر . (نصار ، 2008 ، ص 77)"

ارجح موقف الدكتور "فتحي التريكي" حينما يقول:"نحن في خضم المسائل التي طرحتها الحداثة على مجتمعاتنا التي بشيء من التذبذب تعيش محاسنها وتتخطب في مشاكلها، ولكن فكرنا مازال يحصر نفسه في المسائل نفسها التي طرحتها فلسفة النهضة،وهي مشكلة التراث والحداثة أو الهوية والتفتح .." (المسيري، 2003، ص 210)

هنا الاشكال..ادمغتنا مجمدة متروكة بالعصر الوسيط ، وأحلامنا نهضوية في بعض مظاهرها ، وواقعا وطموحنا يطمح لأن يكون بالحداثة .. إلا أن أجساد شبابنا شقت الطريق لما بعد الحداثة. شيزوفرانية مركبة نوعا ما ، ولاسيما اذا وافقنا الدكتور "عبد الوهاب المسيري " في تعريفه لما بعد الحداثة ، حينما يقول : " تؤكد ما بعد الحداثة غياب المرجعيات وتآكل الذات وفقدانها حدودها ، وتآكل الموضوع وفقدانه حدوده ، وهيمنة النسبية المعرفية الاخلاقية ، ومن ثم استحالة الوصول الى فكرة الكل ، سواء كانت هي فكرة الاله أو الاخلاق المطلقة أو الطبيعة البشرية . " (المسيري، 2003، ص 124) بمعنى نكران للمركز والمرجعية والمطلق.

سنكتفي بمفهوم الحداثة كما وصفها المفكر الجمالي "ستيوارت هول" ^{1*} باعتبارها تشوير دائم وإزعاج متواصل لجميع العلاقات الاجتماعية.

يبدو أن هناك حراك تمردى للعقل المدجن ، العقل العمودي ، ودعوة صريحة للانفلات من قبضة وسلطة الحكاية الموروثة ، وكلاسيكيات الخطاب وكل ارث أدبيات الثقافة العربية ، وما تكرسه من قيم الطاعة وأخلاق الهزيمة وخطاب اللاعقل وما مارسه على العقل العربي من ترهيب وتحذير وتكميم للأفواه حسب تحليل الباحث المغربي " محمد عابد الجابري (الجابري، 2001 ، ص 30) . هذه الدعوة لن تجد لها فضاء أكثر حرية وانفلاتا من الرقابة المركزية من مواقع التواصل بالانترنت .

سنقف بهذه التركيبة الهشة في مواجهة عالم يتقوى كل يوم ويفرض سلطته وأدواته على العالم ككل . فعالم الانترنت ، غزى كل اهتمامات البشر ، اذ ليس هناك أي نشاط انساني لم يهاجر الى الفضاء الافتراضي ، السياسي ، الاجتماعي ، الديني ، الاقتصادي والتجاري ..وحتى الاجرامي على حسب قول "راينا ستامبوليسكا" Rayna Stamboliyska (Stamboliyska, 2019, p. 7) ومن ثم ، وبحكم نشاطنا المعتاد المتمثل في استهلاك المفاهيم والمعارف مما ينتجه الغير على مدى قرون من الزمن ..سنفتح أفواهنا ونتلقى حصصنا من القوت كالعصافير .

2- العرض المتنوع والواحد للتيك توك

تحمل عروض التيك توك الكثير من مظاهر التنوع والتعدد، إلا ان هذا التنوع يتمثل ويتحدد داخل نموذج أوحده . وباعتبار العالم كله موضع عرض مسرح Théâtralise

اننا بطريقة او بأخرى عارضون على حد قول الباحثة الامريكية جيديت بيتلار ^{**}

500 مليون مراهق مستعمل للتطبيق الصيني في 150 دولة منذ 2016 ، تطبيق موسيقي من ابتكار Zhang Yiming ^{***} ينتشر بشكل جنوني سنه بعد ان اشترته شركة امريكية تدعى la société ByteDance بمليون دولار .

استفاد التطبيق من السناشات واليوتيوب والفيسبوك كل مزاياهم من بريد الكتروني ، حوار ، تسجيل ، بث ونشر مباشر للفيديوهات والصور. مع تحد لكل أسبوع كأن تظهر وتختفي وراء شجرة، أو تضع احمر الشفاه ، أو تشرك والدتك في رقصة معينة .. الخ
كيف يتحقق العرض؟؟

يبدو فضاء " اللعب " أشبه بمقصورة تغيير أو تجريب مقاسات الملابس.. يضع الفرد بنطلونا ويأخذ صورته وهو ضامن حميمية معينه بينه وبين المرأة.. في وضعيات جمّة وحركات مختلفة.. الاختلاف الوحيد هو ان العرض هنا يبحث عن عيون الآخر.. وتقدير واهتمام الآخر.. ضمن عزلة وجودية عميقة.

مكان الفعل بالتيك توك فضاء سوريا lieu visuel متحكم فيه ، سينوغرافيا ، وصوتيا.. ديكور يخضع لعامل الاقتناء ، والتحديد للإطار المعروض.. أشبه ما يكون بالكاستلي Castelet وهو اطار عرض دمي العرائس. الاختلاف انه العارض ليس دمية.. وإنما شخص "تكرة" رغم حصيلة الجامات والتعليقات.

مع نزوة وحاجة ملحة لبلوغ الصورة المثالية ، يستعين العارض لتقنية التصوير بالسناشات ، الذي يوفر امكانية التلاعب بالصورة الحقيقية وتصفية كل الشوائب أو الظلال من شحوب أو لون بشرة غير مستحب .

مرات كثيرة تظهر مشاهد كوميدية بتقنية " التشويه / التزيغ Anamorphose لإحداث عامل المبالغة والسخرية.. وهو اسلوب يكسر كل ما نعرفه عن الاطار الصوري والمنظور.. كأن يظهر حجم الفتاة ضخماً مما يجب للتأقلم مع فحوى الأغنية.

اجواء تعم فيها النرجسية.. من خلال التركيز على ميزانسان ترجح فكرة الكادراج بنوعيه:

1- (مشهد منتصف الفخذ) Plan cadrage américain a mi cuisse

2- (مشهد عام وشامل) Plan cadrage d'ensemble

بالإضافة الى التحكم في خاصيتي " الاقتصاد " و " التضمين "...ليتحول الجسد الى كلمة..والحاجة للتعبير قد تعوض غياب معين، وكأنها نوع من المقاومة.

في فقرة لميشال دو سارتو: Michel de Certeau وهو يصف احداث ماي 1968: " في ماي الاخير، اخذنا الكلمة كما أخذنا لابستي في 1789 "، انها الكلمة المسجونة التي تحررت (Certeau, 1968). حرية ان نتحدث ، وان نتنفس..تضاهي حرية الاستيلاء على الفضاء. هذا الانفلات والقلب للعادي..فيه الكثير من الصعلة على المتفق عليه.. والكثير من التشوق للحرية.

عوامل كثيرة مقتبسة من عالم الاستعراض ، الاشهار، ماكياج، مؤثرات صوتية ، مونتاج، اخراج ، مشاهد مبتكرة ، اداء ، رقص ، وخيارات متنوعة للزي ..،

مثل تقنية الارساء / الترحيل Ancrage/Relais (Barthes, 1964) ويدخل ذلك ضمن بلاغية الصورة فحسب " رولان بارت "هما طريقتان للربط بين النص والصورة، حيث تعمل الرسالة الاسنوية لتوجيه المشاهد نحو المعنى.

نقرأ العالم بواسطة شفرات متواجدة في سياقات وادوار اجتماعية وثقافية معينة ترافقنا اجتماعيا..حركة اليدين ، التحية ، الوقفة ، التعبير عن الفرح ، الألم ، الامتعاض..نقرأ من خلال بناء علاقة تحدد هوية الانتماء ومن ثم تنتج القيم رؤى مشتركة للعالم ، مع امكانية صنع المعنى.

يقول "ستيوارت هول: " لا وجود لخطاب مفهوم خارج عمل الشيفرة"

(HALL, 2007, pp. 203-213). لأنه ببساطة أي خطاب يستلزم وجود باث ومتلقي يفكك

الكودات ويزيل اي ابهام لبلوغ الفهم والإدراك.

سنستعير من عالم الاجتماع البريطاني Basil Bernstein تمييزه بين الشيفرة المحدودة والشيفرة المتقنة ، الاولى في الازواضع غير الرسمية (بساطة،عدم التنوع ،مع كثرة استخدام الاماءات..) وهي للطبقة العاملة..او ذوي المنحى المحدود..اذ الفاعلين من طبقات عديدة ..يتفاوت في المستويات..تلجأ الى ابسط الاماءات في التفاعل مع مقطع غنائي مثلا.

اما الشفرة المتقنة، فهي للأوضاع الرسمية بأسلوب متنوع وخاصة بفئة الطبقة المتوسطة التي تملك في حقيقة الامر الشفرتين..فتظهر عروضها نوعا ما مفبركة اكثر ميلا لإضفاء نوع من الابتكار والتجديد.

يبدو التيك توك كأسلوب تواصل حدائي يعلن شرعية الانتماء لعالم موحد في مبتغاه ، في انتعاش مخيلته ..ولمراهقينا نوع من توكيد الذات بما تحمل من هوية ثقافية (بفرض مثلا ايقاعات موسيقية معينة أو طبوع محلية) وتقليص مسافة الاغتراب مع "الآخر"..قد يبدو ايضا خطاب منمرّد في مواجهة خطاب التمرکز بالماضي ..ربما صوت من الاصوات التي تريد تحديث أصالتنا وتأصيل حادثتنا.

تذكرون أننا بدأنا مع مواقع التواصل الافتراضي ، بفتح صفحات بأسماء نكرة، وصور لممثلين، في محاولة لإخفاء هوية المتواصل ..لنتفاجأ بعد بضعة سنوات بظاهرة عرض الجسد بشكل يبرز ثقة في النفس وتحكم في سياق المنتج..

حتى لو اتفقنا مع Ur-Gefuht الذي يرفض التعامل مع الجسد كأداة ، وإنما اعطائه حقه ككيان مفكر (Jean Pierre Bagot, 1958, p. 88)..فإننا سنظل نتحفظ أمام هذا الكيان المفكر وهو بيد مراهق لم يتجاوز 13 سنة

(وهو السن القانوني لاستعمال التيك توك) وأمام متلقي/ مشاهد ومفكر للكويدات والمرجعيات تفتح امامه كل ابواب التلاعب به واستغلاله.

لو ظل فقط التطبيق بيد شباب يبحث عن بعض من حقوقه في حرية التعبير واثبات وجوده فنيا واجتماعيا..

الاشكال بعد مرور سنة فقط طرح بالولايات المتحدة ..اشكال مراقبة ما يجري في سن دون 13 وهو السن المسموح به..اقل من 10 سنوات..تعرض الفتيات الصغيرات محاكاة لما يجري بعالم الشو، الغناء والرقص..

ربما يظل العمل في اطاره الطفولي.. والمحاكاة الفنية..

المشكل في المتلقي..الذي يتحول الى متلصص ومعلق بذئى لدرجة الخطورة..

وقفت عند كونت تلميذة لا تتجاوز 15 من مصر ،بحوزتها أكثر من 50 فيديو مسجل..وعوض ان اطرح السؤال كم من ساعة يمكن ان تقضيها هذه الفتاة على التيك توك، سأسأل كم ساعة تقضيها خارج الافتراضي..ولا سيما وأنها ممتدرسة .

ما شد انتباهي هو مقدار العدوانية والسخرية والإيذاء الموجود بالتعليقات..اذ نادرا ما وجدت صيغ للنصح او الاطراء..مقارنة بصفحة تيك توك لفتاة اوربية مثلا.

لم افهم العلاقة التي تجمع هذه الفتاة المصرية بمشاهديها ، فبرغم كل ما يكتب ضدها..تستمر المراهقة في نشر المزيد من مقاطع تقليد الممثلين والمغنيين..بل تذهب حتى للغناء بصوتها..غير مهمة بما يقال لها على فيديوهاتها.. من نقد لاذع وحملة التهكمات ضدها..الجدار الرابع المعروف مسرحيا..بين الممثل والجمهور،هو جدار وهمي إلا مع هذه الفتاة ، فيكاد ان يكون اسمتي بلا ردود تفاعلية.

لعل مقولة " جورج باركلي **** حول مفهوم " فرط الرؤية (Hyper visibilité) حينما يصرح " أن تكون هو أن ينظر اليك ". (être perçu Etre c' est) (خليفة،1997، ص91) بمعنى كينونة مرتبطة بالحكم عليها من طرف الآخر هي الاكثر ملاءمة لمثل هذه الحالات.

من جهة أخرى يفقد التطبيق شيئا فشيئا كنهه في نشر قيم الحرية والتواصل بين الشباب الى عوالم المتاجرة والإجرام .. أو كما تسميهم " راينا ستامبوليسكا " Rayna Stamboliyska الغرف الحمراء لظلمات " الواب Red Rooms du darkweb "

لعل الهاجس الاكبر لدى الاهل وحتى على أعلى مستوى هو سرقة بيانات المعني..توظيف صورته وشكله لمآرب اقل ما يقال عنها انها خبيثة أو مرضية .. أو التعرض لتجارب تلامس حدود الاجرام وما اكثرها على الطفولة.

ومهما كان موقفنا من وسائل التواصل الاجتماعية..تظل تطبيقات مثل التيك توك الموجهة لفئة المراهقين والشباب فضاء للكتارسييس ، في مواجهة بنية مهترئة للعالم والواقع.

قائمة المصادر والمراجع:

- Barthes, R. (1964). *Rhétorique de l'image*. Communication 4 .
- Certeau, M. d. (1968). *la prise de parole , pour une nouvelle culture*. Paris: Décslée de Brouwer.
- HALL, S. (2007). *Identités et cultures; Politiques des Cultural Studies*. (C. duit par JACQUET, Éd.) Paris: CERVULLE, Maxime,.
- Jean Pierre Bagot. (1958). *Connaissance et amour; essai sur la philosophie de Gabriel Marcel*,. Editions Beauchesne,.
- Stamboliyska, R. (2019). *La préface cachée d'Internet*. Larousse.
- عبد الوهاب المسيري. (2003). *فتحي التريكي، الحداثة وما بعد الحداثة . بيروت :آفاق معرفة متجددة*.
- فريال حسن خليفة. (1997). *فكرة الالوهية في فلسفة باركلي*. مكتبة الجندي ، ط.1.
- محمد الوقيدي. (1984). *فلسفة المعرفة عند غاستون باشلار*. بيروت : مكتبة المعارف للنشر.
- محمد عابد الجابري. (2001). *العقل الاخلاقي العربي ، دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية . بيروت :مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1 ،*
- ناصر. (2008). *الذات و الحضور /بحث في مبادئ الوجود التاريخي . بيروت : دار الطليعة ، ط.1*
- نايلة ابي نادر. (2008). *التراث والمنهج بين اركون والجابري*. بيروت : الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط.1

قائمة التوضيحات

⁼ Technologie de l' information et de la communication

* *تيورات* ماكفايل *مال (Stuart Hall)* (من مواليد 3 فبراير عام 1932 – توفي 10 فبراير عام 2014)

Judith ** Butler (من مواليد 1956) اهم اعمالها حول المساجين " خارج الاطار القانوني" الذي تشغل عليه مرفقة اياه لمفهوم العرض.

***الرجل التاسع في العالم حسب ترتيب الاغنياء في العالم بثروة تقدر ب 16.2 مليار دولار.

**** Georges Berkly (1753 - 1685) فيلسوف وأسقف ايرلندي. مؤسس نظرية اللامادية.